

د. عبد السلام حنبلي ود. مرتضى أكبيدي

إذا أمعنا النظر في هذه القصيدة نرى أن صاحبها أجاد في استخدام الصور البيانية لما له من قدرة بلاغية متميزة في النص، وفيها سريان الروح الإسلامية، بما أن غايتها إصلاح ذات البين المعتبر من أسس الدين، يقول الشاعر مثلاً:

١٤- مرهقا بالديون في كل شهر ***

فقوله "دائم المكث في عذاب السَّعير" استعار كلمة "السَّعير" للفقر الذي يحرم الإنسان التصرف في شؤون حياته بالمتعة والحرية، وهذه استعارة تصريحية، وتوجد أيضاً في البيت (٢) قوله: "تمنى في البلاد الأمها" استعار كلمة "الأم" للجهالة التي يحاول المعلم محوها، وفي البيت (٣) قوله: "من منكر ونكير" استعار "ملكى الخوف والرَّعب" لحالة مكروهة. وفي البيت (٩) قوله "العلم في النعيم" استعار كلمة "النعيم" لكثرة الثروة، وفي البيت (١٩) قوله "فالعلم دواء يجلى سقام الصدور" استعار الشاعر "سقام الصدور" للجهل، والعلاقة في كل منها مشابهة، وسر بلاغتها الإيجاز.

٣:٦- قاموس الشعر

نرى بإمعان النظر في قاموس هذا الشاعر أنه اختار من الكلمات أقواها على إحساسه وأهداها إلى تحقيق هدفه ومراده، وتجري هذه الكلمات المختارة على القواعد اللغوية المعروفة، لم نشعر منها غرابية ولا أية تعقيد، لفظية كانت أو معنوية. وهو موفق في اهتدائه إلى الكلمات التي كانت شديدة الإبانة عما يريد، لأن الكلمات مهما تقاربت معانيها فلا بد من كون بعضها أدل على المقصود من بعض، وللشاعر سببه في تفضيل كلمة على الأخرى، فكلية "التدبير" في البيت الأول مثلاً تعني "الإهلاك" بتفعيلة واحدة، لكنها أكثر ملائمة في الموضع لشعور روح بلاغية بينها وبين كلمة "التعمير" في البيت نفسه، وهذا التفضيل من حيث القواعد العروضية. واختارها الشاعر كلمة "القرىض" في البيت الثامن لتعني "الشعر"، لكن الاختيار من وجهة الوزن والصوت لاختلافهما في التفعيلات. فكلية "الشَّمعة" في البيت العاشر عبارة عن نوع من المضيئات، التي تحرق نفسها تحريقاً فتأثراً لإضاءة الغير، استخدم الشاعر هذه الكلمة عند تصويره أحوال المعلمين المخدوعة، وذلك من باب إظهار المضايقة. فكلية "زلزلوا" في البيت الخامس استعملها الشاعر بمعنى "ارتعدوا"، فالزلزال أبلغ كارثة وأذية.

٤:٦- الوحدة العضوية

اعتنى الشاعر باعتدال أجزاء هذه القصيدة وتهذيبها، وراعى الالتئام والانسجام فيها حتى اقتضت كل كلمة فيها ما بعدها، وأتت فقراتها ضمن منطق واحد بدون الخروج من غرض شعره الأساس، وأجاد في الوصل والفصل بين جملة، كما ساءى بين المعنى والتعبير. ففي الأبيات الستة الأولى مثلاً، فصل الشاعر بين فقراتها، ولم يعطف بينها بالواو وذلك لأن هذه الأبيات توضيحية لما سبق، واختلط بين الإنشاء والإخبار استهلالاً للقصيدة. ثم أتى بالواو معطوفين بالواو، ففيها توضيح ما قبلهما. وأتى أيضاً بعشرة أبيات مفصولة بعضها من آخر، وكذا لما تقدم، ففي فقرات سبعة منها تألف تام لاتحاد التراكيب إخباراً، كما تتحد الثلاثة فقرات بإنشاء. وهكذا تسلسلت الجمل والفقرات من بداية القصيدة إلى النهاية.

٥:١- الموسيقى

تتنوع الموسيقى الشعرية إلى نوعين: داخلية وخارجية، فالموسيقى الداخلية عبارة عن تنوع الإيقاع في النص الأدبي الناتج عن اختيار الحروف وتأليف العبارات. أما الخارجية فتتمثل في وزن وقافية الذين يختارهما الشاعر قصداً أو دون وعي. وضع العروضيون أوزاناً عديدة لقرض الشعر العربي قصداً للإجادة، وجعلوا إلزام الشاعر بالوزن المناسب لشعره شرطاً أساسياً لرفع قيمة النظم. لقدبنى هذا الشاعر قصيدته على تخفيف المشعّت العروض والضرب هكذا:

فاعلاتن مستفععلن مفعولن
فاعلاتن مستفععلن مفعولن
واللخفيف عروضتان مشهورتان: صحيحة "فاعلاتن"، ومحدوفة "فاعلن" وثلاثة أضرب: صحيح مثلها "فاعلاتن"، ويجوز فيه التشعيث "مفعولن" عوض عن "فعلاتن" ومحدوف "فاعلن".